على الأنواع المختلفة الى غير ذلك فهذا وامثاله من التجارب يفيد ظن استناد تلك الآثار الى ما ذكر من الأسباب
ولا عترفوا بأنه لا يمتنع استنادها الى اسباب اخر لجواز ان يكون للواحد بالنوع علل متعددة وبأن في جملة
ما ذكر من الأسباب ما يحكم الحدس بأنه غير تام السببية بل يفتقر الى انضمام قوى روحانية لولاها لما كانت
كافية في ايجابه ما هي اسبابه فان من الرياح ما يقلع الأشجار العظام ويختطف المراكب من البحار
ومن الصواعق ما يقع على الجبل فيدكه وعلى البحر فيغوص فيه ويحرق بعض حيواناته ويذيب ما يصادفه
من الأجسام الصلبة حتى يذيب الذهب في الكيس ولا يحرق الكيس ومن الكواكب ذوات الأذناب ما تبقى
عدة شهور الى غير ذلك من الأمور الغريبة التي لا تكفي فيها ما ذكر من الاسباب المادية والله عليه اهـ
من شرح المقاصد مختصرا ولكون ما ذكر متكونا من بخار او دخان ينبغي ان نبينهما فنقول اشعة
الكواكب وغيرها من المسخنات اذا اثرت في مياه صادفتها في بعض المواضع واستحال بعض تلك المياه
بتسخينها اجزاء هوائية تصاعدت بحسب اقتضاء تسخينها مختلطة بالاجزاء اللطيفة المائية اختلاطا
يرتفع به الامتياز الوضعي عن تلك المختلطات فهذه المتصاعدات من الاجزاء المذكورة هي البخار واذا
وقعت تلك المسخنات على بعض المواضع الغائرة وحدثت بشدة التسخين هناك اجزاء نارية وصادفت
تلك الأجزاء اجساما قابلة للاحتراق تشبثت بها واحدثت منها بالاحتراق اجزاء هوائية متصاعدة
مختلطة بأجزاء ارضية لطيفة هبائية انفصلت عن تلك الأجسام فهذه الاجزاء الهوائية المتصاعدة
مختلطة بالاجزاء الارضية اللطيفة هي الدخان قاله في شرح المقاصد وكذا السوائل الغير قابلة للوزن
وهي التي تتتابع اجزاؤها الدقيقة ويتلو بعضها بعضا حتى تنعدم في مسام كثيرة من الأجسام
ثم منها ما هو قابل للوزن كالمياه والزيوت ونحوها ومنها ما ليس يقابل له وهو الثلاثة المشار
اليها وهي الكهربائية والضوء وعنصر الحرارة وتقدم ان الكهربائية سيال لطيف وهو منتشر في جميع الأجسام
بمقادير مختلفة وله اوصاف مخصوصة ينشأ عنها حوادث عجيبة كما شاهد من سرعة نقل الاخبار
بالتلغراف المستجد الآن بقطرنا وسائر الأقطار فان الخبر يصل به من حلب الى الأستانه في
نحو درجة وذلك انه متصل في طريقه بمواضع في المحطات من البلدان فيها عدد موضوعة واقتدارات
مخصوصة يراقبونها فتجد العدة فيها عقربا كعقرب الساعة ويدان لتحريك تلك العقارب وقد
وزعت الحروف الهجائية عليها بمعنى ان كل عقرب له حروف مخصوصة يفيدها بتحريكه ويكون
صاحبه مراقبا فيكتب تلك الحروف على ما يراه فيعرف المقصود ويعرفه وهو امر مشاهد في يومنا
هذا والاجسام الغير نيرة بالذات اي التي ليست نيرة في ذاتها بل اما مظلمة راسا او تكتسب
النور بمقابلة الضوء فهي ثلاثة اقسام الأول الأجسام المعتمة اي المظلمة وهي التي لا ينفذ منها الضوء
كالأجسام الغير شفافة والقول بأن عتامتها آتية من كثافة اجزائها احسن من القول بأنها من طبيعتها
لانها اذا رققت جدا نفذ الضوء منها واذا الصقت ورقة مرققة من الذهب على جسم زجاجي شوهد
منها ضوء مائل للخضرة اذا نظر من خلفها للشمس او المصباح وهذه الأجسام المعتمة اذا صادفها
الضوء في سيره على الخط المستقيم لا يستنير منها الا ما كان من جهة والجهة المقابلة يوجد فيها ظل
تلك الأجسام ويمتد بعيدا عنها الى مسافة ما وكلما اشتد الضوء زادت قتامة الظل الثاني الأجسام
الشفافة وهي التي ينفذ منها الضوء ولا تحجب ما وراءها فيرى ما خلفها تام الرؤية وهذه ان غلظ حجمها
جدا تلونت لأنها تتشرب حينئذ جزءا من الضوء النافذ فيها فلذا تجد الماء القليل صافيا والكثير ازرق
او اخضر الثالث الأجسام النصف شفافة اعني التي بين الشفافة والمعتمة وهي التي ينفذ فيها بعض الضوء ولا
تشاهد من خلفها الوان المرئيات ولا اشكالها ولا ابعادها كالورق المدهون بالزيت والله اعلم
العلم

العلم الثالث والثلاثون علم الطب وهو من فروع الطبيعة كما ذكره ابن خلدون قال وهي

صناعة تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض
بالادوية والاغذية بعد ان يتبين المرض الذي يخص كل عضو من اعضاء البدن واسباب تلك الامراض
التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الادوية مستدلين على ذلك بامزجة الادوية وقواها وعلى المرض
بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء اولا في السحنة والفضلات والنبض محاذين لذلك
قوة الطبيعة فانها المدبرة في حالتي الصحة والمرض وانما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشيء
بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن ويسمى الجامع لهذا كله علم الطب وامام هذه الصناعة
التي ترجمت كتبه فيها من الأقدمين جالينوس يقال انه كان معاصرا لعيسى عليه السلام وتآليفه فيها
هي الامهات التي اقتدى بها جميع الأطباء بعده وكان في الاسلام في هذه الصناعة ائمة جاؤوا من وراء
الغاية مثل الامام الرازي وابن سينا قال وللبادية من اهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على
تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثا عن مشايخ الحي وعجائزه وربما يصح منه البعض الا انه ليس
على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج وكان في العرب اطباء من هذا القبيل معروفون كالحرث بن كلدة
وغيره والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل وليس من الوحي في شيء وانما هو امر كان عاديا
للعرب الى آخر ما قال واقول هذه هفوة لا ينبغي النظر اليها كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم للمبطون
الذي امره بشرب العسل فلم ينجح صدق الله وكذب بطنك وعلم مما ذكر حده وانه علم يعرف به
احوال بدن الانسان من صحة ومرض ومزاج واخلاط وغيرها قال في اللؤلؤ النظيم وواضعه
تداخلوا فيه والمختار انه نبي الله ادريس عليه السلام فبعضه بالوحي وبعضه بالتجارب وحكمه
الوجوب الكفائي وغايته جلب الصحة او حفظها والأمراض جمع مرض ويرسم عدميا بانه عدم
الصحة ووجوديا بأنه حالة تجري معها الأفعال على خلاف المجرى الطبيعي وينقسم من حيث العوارض الى كثير
من الاقسام ما بين مرض بالذات كالسل وبالعرض كالامتلاء وما بين معد كالجذام وغير معد كالاستسقاء
وانقسام المعد الى ما يعدي بالنظر اليه كالرمد وما يحتاج في ذلك الى المخالطة كالجرب والى موروث كالأبنة
وغيره كالصمم والى ما يؤثر في الولد كالعمى الخلقي وما لا يؤثر كالنقص العارض وغير ذلك ولما كانت الأمراض قد
تخفى على كثير وكانت الحاجة شديدة الى ايضاحها مشخصة ليتم العلاج على الوجه الأكمل وضعوا لها دلايل تسمى العلامات
والأعراض والمنذرات والمذكرات والمبشرات قال داود في تذكرته وتدرك بالسمع كالقرقرة في الفساد والألم
كالمغص في الجشاء والنتن واللون كالصفرة في اليرقان والذوق كملوحة البلغم في غلبة الصفراء واللمس كالحرارة
في الحميات قال وقد تتقدم المرض بزمن طويل كمن يشرب كثيرا ويبول قليلا فانه لا بد وان يقع في الاستسقاء
اذا لم يكن محرورا ولا صفراويا وكمن يحمر بياض عينيه من غير علة فيهما فانه لا بد وان يقع في الجذام وتقسيم
الدلايل المذكورة الى الأقسام الثلاثة المشار اليها من حيث الزمان فالاول ماض ينفع الطبيب فقط
في ازدياد الثقة به كاختلاط النبض على اسهال تقدم ونداوة البدن على عرق والثاني حاضر ينفع الا
المريض وحده فيما ينبغي ان يدبر نفسه كسرعة النبض على فرط الحرارة ومستقبل ينفعهما في الأمرين
المذكورين كحكة الأنف والحمرة على انه سيرعف واختلف في ترادف الدليل والعرض والاصح اختلافهما لأنهما
من حيث الطبيب ادلة وللمريض اعراض كذا ذكر في التذكرة وفي غيرها ان الدلايل المذكورة احدها المذكرة
التي تذكر الطبيب بما مضى من الاعراض فيستدل به على سبب المرض وكميته وثانيها الحاضرة وهي التي تدل على
حقيقة المرض الحاصل وثالثها المنذرة وهي التي تدل على ما سيحدث اهـ والمآل واحد وعدد اجناس الحميه

Copyright © King Saud University